مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 10 عدد: 01 السنة 2024 E-ISSN:2588-2325

الأنثروبولوجيا الدينية والممارسات الطقوسية

Religious anthropology and ritual practices

بوشنافة سحابة [1]، جامعة سعيدة د.مولاي طاهر

bouchenafa201@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/02/25 تاريخ القبول: 2024/06/04 تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نعالج أحد الحقول البارزة في المجال السوسيولوجي وهو الانثروبولوجيا الدينية التي تتخذ من الدين محور اهتماماتها والوقوف على جملة الانساق المؤسّسة لها، وكذا التصورات والمعتقدات السائدة في المجتمعات من خلال الوقوف على جملة المسائلات المفاهيمية المصاحبة لأنثروبولوجيا الدينية كفكرة ابتداع الانسان للطقوس المختلفة والتمثلات المتنوعة للإفصاح عن مجال العبادة وغيرها. باعتبار هذه الطقوس من ابداع بشري كونه ينخرط فيها بقوة ويصطلح عليها ايضا بالشعيرة الدينية. فالإنسان من زاوية نظر أنثربولوجية الدين كائن طقوسي بامتياز مثلما هو كائن رمزي. ومدني.. الخ وتختلف هذه الشعائر الدينية من جماعة الى اخرى بل ومن منطقة الى اخرى باختلاف الذهنيات والمرجعيات وحتى الخلفيات الكامنة من وراء هذه الابتكارات والممارسة الروحية وحتى المادية خاصة عندما يتعلق الامر مثلا بالذبائح أو بناء الاضرحة وغيرها ...لهذا فان هذه المحاولة تفصح عن اهم الممارسات التعبدية من منظور انثروبولوجيا الدين والتي يصطلح عليها الممارسات الطقوسية لان الفعل الطقسي لصيقا بالفعل التديني. متّبعين في ذلك منهج تحليلي ومقارن للاطلاع على مختلف الأنساق الفكرية والبنيات الاجتماعية والانماط الدينية للمجتمعات وممارساتها لمختلف الطقوس لتجسي فعل التدين.

الكلمات مفتاحية: أنثروبولوجيا، أنثروبولوجيا الدين، طقوس، المعتقد، الشعيرة.

[1] المؤلف المرسل

Astract:

Through this study, we attempted to address one of the major areas of the sociological field, namely religious anthropology, which takes religion at the center of its interests and to identify all of the models which establish it. , as well as perceptions and dominant perceptions. beliefs in societies, by identifying a set of conceptual issues linked to religious anthropology, such as the idea of man inventing various rituals. And the different representations to reveal the scope of worship and other things... considering that these rituals are a human invention because he is heavily involved in them and also considers them as a religious ritual. From the point of view of the anthropology of religions, the human being is a ritual being par excellence, just as he is a symbolic, civil being, etc. These religious rituals differ from one group to another, and even from one region to another. , according to mentalities, references, even the origins of these spiritual and even material innovations and practices, particularly in terms of sacrifices or the construction of sanctuaries, etc. This attempt therefore reveals the most important aspects. devotional practices from the point of view of the anthropology of religion, which we call ritual practices because the ritual act is in reality closely linked to religiosity.

Keywords: anthropology, anthropology of religion, rituals, belief, ritual.

مقدمة:

إن مجال الانثروبولوجيا الدينية يتخذ من الدين عنصرا محرّكا وفاعلا في حقل الدراسات الحديثة وعليه حاول هذا المجال من الدراسة الوقوف عند أهم الشعائر الدينية التي ابتكرها الانسان على مرّ العصور لفهم ذاته من خلال التأمل والانصهار داخل الفكرة الايمانية والروحانية . كما أن انثروبولوجيا الدين درست الممارسات الدينية المختلفة من خلال الطقوس المصاحبة سواء في العبادات أو الاحتفائيات وكل هذا لإبراز عنصر الدين وادخاله ضمن الحقول المعاشة ويصبح مثله مثل أي حقل اجتماعي وثقافي من هنا نطرح التساؤلات التالية : كيف تناولت الانثروبولوجيا الدينية المسألة الدينية من خلال التمثلات التعبّدية المختلفة؟ وهل استطاعت تقعيدها ضمن حقل البحث الانثروبولوجي المنظم؟ وماهي المرجعيات الفكرية والخلفيات الاجتماعية التي تحرّك الوازع الديني للأفراد؟

الانثروبوجيا الدينية في مقابل الممارسات الطقوسية :

الانثروبولوجيا الدينية الماهية والمفهوم:

تعد الأنثروبولوجيا في عمومها كلمة قديمة قدم تاريخ الإنسانية الا أن استعمالها بدأ فعلياً مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث ازداد بها في الأوساط الثقافية (الانقلوساكسونية) وكان الاهتمام في هذه المرحلة منصبا على الأنثروبولوجيا البيولوجيا أو الفزيائية أي أن الجسد كان محور اهتمامات الدراسات الأنثروبولوجي ثم تطورت وأصبحت تسمى الأنثروبولوجيا الاجتماعية (مصطفى تليوين، 2011، ص17). من هنا نجد ان الأنثروبولوجيا بكل فروعها تهتم بميادين الممارسات المختلفة لسلوك الانسان داخل المجتمع.

المعنى اللغوي الاشتقاقي لكلمة أنثروبولوجيا:

كلمة أنثروبولوجيا مشتقة من الكلمة الاغريقية" انتروبوس"ANTHRIPOS

ومعناها انسان ولوغوس ومعناها خطاب وبحث(Russ Jacquline;2004 ;p 24)

معناها الفلسفي: تعني الانثروبولوجيا فلسفيا العلم الوصفي للإنسان(Russ Jacquline;2004;p 25)

وهكذا أينما يعيش الإنسان تتولد عنده ثقافة، فهو كان مفكر بالدرجة الأولى ،فيبدأ بابتكار وسائل للعثور على الطعام وسد الحاجات البيولوجية الأخرى، ويبدأ أيضا في تقسيم عمله، وخلق تنظيمات حتى يشعر انه تجاوز الحياة البدائية التي تتسم بالفوضى. كما انه ابتكر أساليب تسيير حياته المعقدة في مختلف مستوياتها الاجتماعية، السياسية والثقافية المتعلقة بوسطه المعيش كما ابدع جملة ممارسات ومعتقدات وطقوس الدينية بغرض خلق نوع من الراحة النفسية والروحية إضافة الى هذا كله ابتكر وسيلة التواصل وهي اللغة التي مكّنته استغلال فكره لتوسيع الملكة اللغوية و يشعر بانه يختلف عن سائر الكائنات الحية لانها تعبر عن وجوده وعن علاقاته مع اقرانه من الناس وفق مبادئ معيّنة ورموز مختلفة وتطوير منظومة الإشارات الدالة على المعنى وتجاوز الإشارات الطبيعية المحدودة. ويستمر في التطور والتغير الفكري والاجتماعي وكذا الديني من جيل لآخر، وهذا ما تعنى بدراسته الأنثروبولوجيا بكل فروعها الاجتماعية والدينية والثقافية وغيرها..

الانثروبولوجيا الدينية وتكريس مبادئ العبادات:

تعد الانثروبولوجيا مبحثا جديدا من مباحث التي تنصب حول دراسة المبادئ الدينية داخل حقل المجتمع في كل مراحل تحولاته وتمظهراته لهذا فان اهتمام الانثروبولوجيا الدينية يتركز على الخصائص الاجتماعية للدين . و عندما نتحدث عن المسألة الدينية فإننا نتحدث عن ديانة مجموعة إنسانية لها ثقافة معينة ، كما هو الحال في الحديث عن الثقافة أو الحضارة

وغيرها من العناصر. وعليه فإن الدين في حقل الانثروبولوجي معناه ذلك النظام القائم على المعتقدات تصورات روحية من خلال ابداع مجموعة شعائر دينية وممارسات يتبعها مجموعة من الافراد بغرض فهم مدى تأثير الدين على الذهنيات الاجتماعية. بهذا يدرس الأنثروبولوجي المسألة الدينية باعتبارها جزء أساسي وهام من الحياة الفكرية والثقافية للشعوب والمجتمعات، كما يقومون ببناء تصور عام لفكرة الطقس الديني الذي يختلف من جماعة الى أخرى، وفق الأطر الزمانية والمكانية.

بهذا فالديني هو تديّن زمرة اجتماعية معينة، لأن الفرد عندما يلجأ الى ابداع طقوس معينة بغرض راحة ذاتية ظرفية سرعان ما نجده يتخلى عنها لان المجموع لا ينخرط فيها لهذا، فلا مجال للحديث عن دين فردي لان ذلك يخرق القاعدة الاجتماعية التي تتبني ديانة معينة. ومنذ القديم شكلت الظاهرة الدينية محوراً اساسياً في الدراسات الرائدة في العلوم الاجتماعية، والفلسفية والحقول الانتروبولوجية، كما هو واضح في علم الاجتماع والانثروبولوجيا بالخصوص. وتطورت الدراسات الأنثروبولوجيا وتفرع عنها حقول أخرى كالأنثروبولوجيا الثقافية الأنثروبولوجيا السياسية والانثروبولوجيا الدينية التي تتّخذ من الدين مبحث رئيسي لها ولكن بشريطة الانخراط في الإطار الجمعي لان الانسان ابن البيئة والمحيط الذي ينتمى اليه.

والبحث في هذا الحقل كان حتمية في أوروبا باعتبار أن المؤسّسات الدينية في ذلك الوقت كانت تتلاشى وتكاد تضمحل وذلك-كما هو معلوم- راجع لأسباب الثورات الصناعية والسياسية التي شهدتها أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر، كما أن الثورة الفكرية التنويرية التي تزعمها التيار التجريبي هي الاخرى كانت كافية للانحراف الديني وعدم الاهتمام بالوازع الديني والروحي،كل هذا جعل الدراسات الاجتماعية و الفلسفية تعيد التفكير في المسألة الروحية المهمشة وكذلك رد الاعتبار لما هو أخلاقي وعقلاني . وبالتالي لم يجد مفكرو هذا العصر بدا من الالتفات الى تأسيس وبحث في المجال الديني لان الظاهرة الدينية تحمل في مكنوناتها كل ماو روحي وتعبدي. لهذا فالأنثروبولوجيا الدينية موضوع معقّد ومتشابك وحسّاس هذا ما وضّحه "جعفر نجم نصر" قائلا" هناك خاصيتان اثنتان ظلّتا ملازمتين للدراسة الأنثروبولوجيا للدّين وهما الحساسيّة والتعقيد، والمقصود بالخاصيّة الأولى الاستفزاز الذي تمارسه استنتاجات هذه الدراسات داخل الأوساط الدينية خصوصا المتشدّدة منها، أما الخاصيّة الثانية وهي الأهم هنا وهي الطابع الانفلاقي للدين كموضوع للدراسة الانثروبولوجية و السوسيولوجية ، فالدين من وجهة نظر هذه المقارنة لا يقبع داخل قوالب جامدة محنّطة ، وانّما تفكير وسلوك متغير ومتحرّك يمسّ كافة مجالات الحياة اليومية يفعل فيها وينفعل بها وعليه يعدو الدين بهذا المعنى الواسع والدينامي صعب الرصد والضبط والتحديد"(محمد الحبيب منّادي،2020 ص289).

نفهم من هذا أن انثروبولوجيا الدين في حقيقتها تنظر الى فعل التدين داخل الزمرة الاجتماعية والبنية الفكرية للأفراد لهذا نجد ان حقل انثروبولوجيا الدين يتصف بالتشابك والتعقيد.

الطقوس الدينية :

معنى الطقوس : إن لفظ طقس Riteمشتقة من الكلمة اللاتينية Ritus وتعني العبادات والاحتفالات الدينية والعادات والتقاليد والأعراف ، وهذه المعاني المختلفة تتواجد اللهجات المختلفة المتداولة والمألوفة(Jean Maisonneuvre : Les Rituels ; 1988p.03) "ويعرفها لوك بونوي" قائلا" إنها حركات بسيطة أصبحت تصرفات ترتيبية تتألف من أناشيد وموسيقى وكلمات تبرز مواقف طبيعية كانت في اوّل الأمر تصدر غريزيا في مناسبات مشابهة تستجيب لنفس الضرورات ، إنها حركات بدئية يقوم بها الانسان وهي ملازمة له في الحياة") فالممارسة الطقسية الدينية تتضمّن فعلا تواصليا يتم من خلاله إحياء تجربة مقدّسة تدرك دلالتها ضمن المنظومة المعتقدية الخاصّة بالجماعة. ويجد المنخرطون فيها ضربا من التوازن الوجداني الذي يمكن أن يفتقدوه في تجربتهم وحياتهم الجماعية اليومية. معنى هذا أنّ الممارسات الطقسية إنّما تتخذ وسيلة ناجعة لخوض تجربة وجدانية جماعية خاصّة يلوذ إليها الأفراد لملء فراغ ناجم عن خلل في تجربتهم الجماعية. فالانخراط في هذه الممارسات الطقوسية وخاصّة الدينية منها، شبية بضرب من "العلاج" التطهيري(cathartique) ، فالطقوس أفعال تترجم عن حاجات وأفكار ماثلة في اللاشعور الجمعي. وتتمظهر عنما يخلق الافراد الوسائل للإفصاح عنها بطرق مختلفة ووسائل متعددة.

وقد سبق "إريك فروم" أن عبّر عن ذلك فقال: " الطقس في نهاية الأمر تعبير رمزي عن أفكار ومشاعر تتحقق بواسطة الفعل(Fromm, Erik, 1968, p.138) ، لكن التعبير عن الأفكار والمعتقدات الماثلة في الأذهان لا يتمّ بطريقة مباشرة. فالرمز يعني إشارة بالدال الماثل في الفعل الطقوسي إلى مدلول كامن، وتقوم العلاقة بين الأمرين على ضرب من المشابهة أو القرابة الدلالية التي تجد ترجمة لها ضمن النسق الرمزي والثقافي للجماعة ومتخيّلها الجمعي، بحيث إنّ استدعاء الأول يعني استدعاء للثاني رمزيا (منصف المحواشي، 2010، ص15). نفهم من خلال هذا أن التعبير الرمزي عن مكنون الجماعات ماهو الا تجسيد لما هو لا شعوري لا مرئي وفق طقوس تعبدية مختلفة للوصول الى اخراج نوعا من الطاقة الداخلية والشعور بالراحة النفسية .

الأنثروبولوجيا الدينية النشأة والبروز:

تعد الأنثروبولوجيا الدينية دراسة فاحصة وعميقة للبنيات الاجتماعية للشعوب و معتقداتها، ومجالات العبادات المختلفة التي يمارسها الأشخاص لأن الدين يلعب دورًا مهمًا في فهم

معتقدات وقيم وممارسات المجتمعات والثقافات. بهذا فان الدين نظام ثقافي أو بالاحرى سوسيو ثقافي يشكل ويتشكل من خلال النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى الثقافية والفكرية التي توارثتها الافراد بالتداول سواء كان ذلك الموروث ضاربا في الجذور العميقة للمجتمع أو مجرد موروث يتخذ صبغة التقليد لما هو كائن وقائم. إنه يزود الأفراد والمجتمعات بإحساس بالمعنى والغرض والهوية، ويمكن أن يكون له قوة وتأثير في تشكيل العلاقات الاجتماعية والأعراف والسلوكيات. لهذا يدرس علماء الأنثروبولوجيا الدين الطرق التي يتقاطع فيها الجانب الممارساتي مع جوانب أخرى من المجتمع، داخل الحقل المعرفي بمختلف جوانبه السياسية والاقتصادية وحتى التقاليد متعارف عليها والأعراف التي تبدو وكأنها مقننة. وقد يقوم الباحثون في مجال هكذا دراسات بفحص الطرق المختلفة التي يعبر بها الناس عن معتقداتهم الروحية ويختبرونها من خلال الطقوس والاحتفالات والممارسات الأخرى المتعددة الأوجه. بشكل عام تسعى دراسة الدين في الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى توفير فهم شامل للدور المعقد والمتعدد الأوجه الذي يلعبه الدين في تشكيل المجتمعات والثقافات البشرية و تعمل هذه المعتقدات في التشكيلة الثقافية لشخصية الإنسان في المجتمع المعني بالدراسة ، و في هذا المجال لا تعتبر الأنثروبولوجيا الدينية دراسة لاهوتية، فيتيشية ميتافيزيقية يغلب عليها طابع السرد والوصف والرواية كما أنها لا تعتبر أيضاً دراسة حول الحقيقة الإلهية للدين ، بقدر ما هي دراسة للإنسان وما يعتقد به، وما يعتنقه أيضا من روحانيات و ما يشكل بالنسبة له حقيقة مطلقة وعليه فإنها تتخذ من الانسان ومعتقده محورا أساسيا لها . كون أنّ المعتقد أمر روحي لا مرئي، ولايمكن أن يكون ماديا ملموسا لهذا كان اهتمام الانثروبولوجيا الدينية يتركز على الخصائص الاجتماعية للدين لان الممارسات تكون منبجسة داخل المجتمع وضاربة فيه بعمق كما يضرب وتد ما لتمتين وتوطيد مايسمى بالمأوى الخاص بالرّحل. وعليه تعد انثروبولوجيا الدين نوعا من الدراسة الهامة لانها تظم جملة الهياكل المتممة لفعل التدين لأي جماعة ما خاصة الحقل الثقافي والفكري بغرض الوقوف على جملة التصورات المختلفة التي لعبت دورا هاما في ابراز البعد الروحي.

فنشأت بالتالي الانثروبولوجيا الدينية بالتحديد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت الدراسات في البدايات تنصب حول مسائل متنوعة مثلا أصل الانسان ونشأته ومراحل تطور المنظومات الدينية عبر التاريخ أي كانت هذه الدراسات تتخذ نوعا من الوصف والتنظير والتحليل وكذا التاريخ لما هو معروف وبديهي وساذج ما جعلها لا تختلف عن علم الاجتماع أوكل ما هو سوسيو ثقافي .

ولعل هذه الأسباب والعلل التي جعلتها لا ترقى الى مستوى الانثروبولوجيا الحقة. ولكن بعد تغيير مسار دراساتها وتناولها لموضوعات تشمل المنظومات الدينية داخل البنية الاجتماعية

ومن لب الزمرة المتعلقة بالأفراد والذهنيات وكذا الاختلافات الطقوسية في العملية التدينية (فعل التدين) تغيّرت بالتالي المسارات وأصبحت من البحوث الرائدة كونها أصبحت جزءا لا يتجزأ من منظومة الانتروبولوجيات الاجتماعية هذا الحقل العام الذي ولدت من رحمه الانثروبولوجيا الدينية . ويتم البحث عن الوظائف الكامنة وراء هذه التشريعات الدينية داخل المجتمع، وهو ما يتم الإشارة اليه اليوم كعلم مستقل بذاته وبالتالي أصبح الدين يدرس انطلاقا من كونه حالة ووضع قائم في المجتمع من جهة ومن جهة اخرى على أنه يتصف بما هو كيفي وتطوري معا .

بهذا لا تقتصر الأنثروبولوجيا الدينية على وصف المعتقدات الدينية لتصنيفها ولتفنيدها أو تثبيتها ، "بل انها ترى أنّ المسألة الدينية جزء من الثقافة المعاشة وهي تدرس هذه الثقافة وعلاقتها بمختلف التخصصات التي تهتم بالحقول المعرفية والمعلوماتية التي تبحث عن الأطر التي تصب في بوتقة الأمر الديني. بمعنى أنّ الحقل الأساسي للأنثروبولوجيا الدينية هو أنماط السلوك المتعلقة بكل الطقوسيات التي يجد الانسان نفسه فيها يفسّر مجال العقائد وكيف يمكن الإفصاح عنها . بهذا فان الظاهرة الدينية شكلت محوراً اساسياً في الدراسات الرائدة في العلوم الاجتماعية مثل علم الاجتماع والانثروبولوجيا ، وذلك لان الرواد الأوائل لهذين العلمين في أوربا كانوا مدفوعين بدافع البحث عن بدائل للانهيارات في المؤسسات الدينية بسبب الثورة الصناعية و الثورة السياسية التي حصلت منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وكأنهم كانوا يبحثون عن علم اخلاق بديل للأخلاق التي كانت تفرضها المنظومات الدينية معيّنة أي البحث عن الايتيقي البديل عما كان سائدا من قهر اجتماعي متذرع بكل الثيوقراطيات المتسلطة التي سبق وان استلهمت افكارها وايديولوجياتها من العصر العتمة أي الوسيط .

أنثروبولوجيا الدين وفكرة المقدس:

معنى المقدس: إن المقدس هو المطهر كما قال صاحب اللسان، ومن هذا الأرض المقدسة وبيت المقدس. والشيء عند المسلمين يكون مقدسا باعتبار تقديس الله خالق الكون والعالم بقدر الأشياء ومكانتها, فما جعله الله من شعائره يقدسه ويعظمه المسلم. ومن المقدسات التي عظم الله شأنها الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام, ومنها المساجد والكتب المنزلة عند الله.وسبب تقديسها كونها من شعائر الله التي أشعر بعظمة شأنها، ولا يقدس المسلم شيئا لم يقدس في شرع الله تعالى مهما كان حال من يقدسه من أصحاب الديانات الأخرى الباطلة, وأما ما عظم الله شأنه كبيت المقدس وكالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وكالأنبياء الكرام، فكل هذا مقدس عند المسلمين نظرا لتعظيم الله شأنه .

فالله هو الوحيد القدوس من خلال اسمائه الحسنى التي لا إمكانية لأحد أن يستخدمها أو يطلقها على شيء أخر كما في الرحمن أو السبوح أو حتى لفظة الجلالة الله، "والتقديس لغة هو

التخصيص المطلق لمخصوص بذاته، أي أنه قدوس أي أنه مخصوص بخاصية لا يشاركه فيها أحد على أنها أعلى درجات التحديد وغي قابل أيض للتدنيس إي انتهاك هذه الخصوصية. وهكذا نجد ان فكرة المقدس والقدسي في حقل الدراسات الانثروبولوجية الدينية قد شكّل المحور الرئيسي للبحث بصورة قد تكون جد عميقة وموسّعة مع الأنثروبولوجيات المحايدة كالثقافية والاجتماعية الفكرية وغيرها. المقصود من هذا كله أن ابتكار الطقوس كان فطريا وطبيعيا في بداياته الأولى و"كان هذا الفعل الطقوسي مصاحبا لكلمات محكية كالتراتيل مثلا أو التعويذات وغيرها والتي كانت مسائل جوهرية في الطقس" (صمويل هنري هوك، 2004 ص9) ووفقا لأفكار "لوكريس" الأبيقوري في كتابه "دي ناتورا روريوم"de natura reum يتوجس الانسان من قدرة الألهة التي تصور أصل النظام في العالم ، وقد أظهر من خلال الطقوس والطقس التضحية على وجه الخصوص إشارات على التبعية والخضوع والانصهار الروحي بدلا من أن يكتسب المعرفة الفلسفية كمعرفة للحقيقة . وعن شيشيرون يقصد بالدين مشتق عن اللفظ « relegère » أي التأمل بدقة ...عبادة الآلهة الذين هم المنظمون الحقيقيون للعالم أما عن الاشتقاق المزعوم عن اللفظ religare ومعناه يعيد الربط فهو معنى من صياغة مسيحية لاحقة أعدها "تورتولين Tertullian و"لاكتانس" Lactance من المدافعين عن العقيدة النصرانية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين. وفي القرن الثالث ميلادي كانت تطلق صفة متدينين على النساك والرهبان الذين نذروا أنفسهم للرهبنة (كلود ريفير، ص31).

على الرغم من وجود المؤسّسات الدينية بهذا فان فكرة الدين في غاية الوضوح ولكن التعريف بالديني مازال صعبا لأنه لم يتم الاتفاق على معاييره الحاكمة الناظمة له فمثلا يؤكد دركايم من خلال الانتر ولولوجا الدينية أن البوذية ديانة دون اله. والمقصود من هنا أن معظم الطقوس المبتكرة والمصطنعة مهما كان تعددها واختلافها فهي من وضع الانسان مما جعلها تكتسي طابعا فرديا من جهة واجتماعيا من جهة الأخرى. فالطابع الأول يتماشى وشعور الفرد الذاتي والذي نجده ظرفي أو مؤقت بينما الطابع الثاني فهو الجمعي لان الفرد منخرط داخل الحقل الاجتماعي ومسالة التدين مشتركة بينه وبين غيره من افراد ذلك المجتمع هذا ما يجعل الدين يتسم بالطابع الجماعي .

وبالتالى تتعدّد الطقوس التعبدية والتمثلات التدينية لترجمة فكرة التديّن من خلال فكرة الطقوس المبتدعة فهي تلعب دورا هاما في بناء شخصية المتدين، أي هي عبارة عن تكرار مستمر ومتواصل لشعائر وأقوال جامدة لا يمكن الخروج عن نصوصها، لأنها تتصف بالإلزام القهري و هذا منذ المراحل الأولى لحياة الافراد وما استعمال الشموع، والبخور لإضفاء القدسية،الا دليل على الابداع انساني والتي يصفها البعض بالبلادة .كما أنّ الحركات الجسمية لإظهار الخشوع، كلها

مجتمعة تقيد الإنسان باتباعها والمحافظة عليها شرط وواجب والقيام بها ضرورة للخلاص، والحصول على الثواب المتدين يعيش ضمنها وتتولد لديه رؤية محصورة معينة، هو من يفهمها حسب هواه و كذلك تصبح حواسه وجوارحه كلها ذائبة ومنصهرة في شيء أخر لا معروف حتى يكاد لا يشعر بها قط. من هنا ظهر هناك اختلاف في ابتداع الطقوس من مجتمع الى آخر تبعا للذهنيات المختلفة والمتنوعة حسب المشارب والملل وحتى النحل .

وكل هذا هدفه واحد هو الوصول الى الخلاص للخطيئة فتعتمد فكرته الرئيسية على المجال الديني الذي يتضمن بعض التصورات منها الفضائل الرمزية التي تتعلق بدائرة المقدس وحول هذه الفضائل تقوم بعض الجماعات المتخصصة في هذا المجال بالعمل على تقديم تعريف المفاهيم وإعادة نشرها وبهذا يمكن القول ان الدين يستخدم تعبيرات الخبرة الدينية الى مقاصد نظرية كالعقيدة والاساطير والمذاهب وعملية كالعبادات والشعائر والاعياد والاعمال السحرية والثقافية. ومهما اختلفت الطقوس من حيث قوّتها الا أنها لازالت مقدّسة عند معتقديها الحقيقيين. ويرتبط السلوك الطقسي دائما بجملة من الخاصيات تميّزها عن باقي الممارسات وفق تراتيب وضوابط . وما يمكن ادراكه من خلال كل هذا هو أن أنّ الممارسة الطقسية لا يمكن أن ندرجها ضمن ما يدخل في الهرطقات أو الترهات من وضع جماعة من الافراد تعيش أوضاعا معينة وهي أيضا ليست سلوك فارغ لامعنى له بل هي على العكس من ذلك سلوك يتسم بالعاطفة الجياشة و الشعور المتوهج.

كما تتضمّن هذه الممارسة بناء يتّسم بالتكامل يمكن ضبطه ومتابعة تواتر مقاطعه المنتظمة، بما يسمح من اكتشاف النظام داخل ما يبدو على أنه فوضى في الظاهر. وعلى مستوى التحليل الوظيفي يمكن أن نتبيّن كيف تتخذ الأنشطة الطقوسية فعاليّة و نجاعة خاصّتين، وتملأ وظائف كامنة في حياة الجماعة المحلية، فتضمن لممارسها نوعا من العلوّ والسموّ لا تستطيع رتابة الحياة اليومية في الحقيقة أن تمنحهم دوما إياه، كما تتيح لهم الدخول ولو مؤقّتا في حالات ذهنية سارّة(منصف المحواشي ، 2010).اي الممارسة الطقوسية لأي فعل تديني من منظور انثروبولوجيا الدين ما هو السلوك انساني منظم يراعي البنية الاجتماعية والفكرية لجماعة ما حتى تتجلى فكرة المقدس وتتجسّد في حلّتها المقبولة كما أن طقوس التعبدية من منظور أنثروبولوجيا الدين ما هي الا ممارسات داخل قوالب مفتعلة للإفصاح عن فكرة دينية أفكاركل متديّن داخل المجتمع المركّب من بنى معقّدة ومن خلال الأنثروبولوجية الدينية يمكننا بناء نوع من التصور الديني الجامع والمؤسس لأساليب التفكير وأنماط التنظير لظاهرة دينية معينة هذا ما يعزّز من ضرورة الاهتمام بالمقاربة الأنثروبولوجية للدين، وعندها يصبح الفعل الديني نوعا من التراكم والتكديس للمفاهيم

والنظريات والبحوث المختلفة والتي تحتاج الى التحليل والتركيب و حتى النقد وغيرها من المناهج المتعدّدة والدراسات المختلفة واسقاطها على البنية الاجتماعية المنظمة .

التمثلات التعبدية والابداع الطقوسي

تتنوع الشعائر الدينية وتتعدد بتعدد الرؤى الاجتماعية، وتختلف أيضا باختلاف الذهنيات التي تفسرها و التي تساهم في تكون الشعائر الممارساتية داخل الحقل الاجتماعي والسوسيولوجي، فنجد مثلا من بين أفعال الحياة الدينية أفعالًا تقليدية ، أي يتم إنجازها وفق شكل متعمّد من قبل الجماعة أو سلطة لها قوة الاقناع وحتى الضغط كما نجد أفعالًا أخرى، تتخذ شكلا آخر مثلا الحياة التقشفية الزهدية الخاصة وهي مختلفة من جماعة الى أخرى وكل الشعائر المرتبطة بالمعتقدات الدينية، وأن الأساطير ليست إلّا شكلًا من عرض وتأويل الممارسات العقدية والدليل على ما خلّفه الأوائل من اليونانيين مثلا اخبارهم عن وجود ضريح أوسيريس في سايس في مصر الدنيا، وأن هناك بحيرة يُعرض فيها معاناة الإله الغامضة في دجى الليل، وكانت تقام ذكرى معاناة الإله مرة كل سنة ينوح الناس فيها ويلطمون على صدورهم لإبراز حزنهم على فقدان الإله، ويحملون في هذه المناسبة صورة بقرة مصنوعة من الخشب المذَّهب وبين قرونها الشمس الذهبية، إلى قاعة تبقى فيها طوال السنة أو تصور على شكل امرأة برأس بقرة، وربما يرمز نقل الصورة إلى بحث الإلهة عن جثة أوسيريس الميت؛ إذ ساد اعتقاد يقول: إن أرواح الموتى تزور بيوتها القديمة في ليلة واحدة .وهكذا نقول ان الانسان هو حيوان عالق في شبكات رمزية، نسجها بنفسه حول نفسه، وبالتالي أنا أنظر إلى الثقافة على أنها هذه الشبكات"من منظور "ماكس فيبر"(كليفورد غيرتز، 2009، ص 82).

ونجد ان الفيلسوف الهولندي سبينوزا يوحد من حيث الضرورة بين إرادة الله في الطبيعة وإرادته في الانسان، لذلك كان عليه معالجة التناقض بين هذه المقولة وبين حقيقة الخرق الإنساني لأوامر الله من جهة، وبينها وبين حقيقة أن الكتاب المقدس يتضمن بالفعل تشريعات قانونية فحاول تسكين الدين داخل الفلسفة، فوضع المقدمات الأولية للدين من جديد على محك العقل الذي اعتبره أفضل شيء في الوجود الإنساني وعن طريقه يبلغ هذا الوجود خيره الاقصى بهذا كله فان الدين هو التأمل الصامت والسيطرة التامة على البدن لنيل السكينة النفسية والطمأنينة الداخلية الباطنية والوصول الى الانا العميق ابتغاء الارضاء الذاتي .

وهو أيضا من إحساس مباشر بهذا الموجود لان تجد اللانهائي هو أن ترضى النفس التواقة وإذا احتجت اللانهائي غدت النفس في قيد الأسى والكآبة والموت (عبد الجواد ياسين، 2014، ص58).وبالتالي تتعدد العبادات من خلال الطقوس المبتكرة وهذا كله للوصول الى غاية واحدة وهي غاية روحانية وجعل الذات الباطنية تنصهر داخل الفكرة الايمانية لمعرفة المعنى الحقيقي

لمعنى الربوبية والخضوع والطاعة لها لضمان أكبر قدر من الحمياتية والصون الداخلي بهذا فان الدين اسقاط اجتماعي لممارسات معينة داخل المجتمع وإعادة انتاج فعل التدين في شكل رموز دينية خاصة في زمن العلمانية الحديثة.

لهذا فان انثروبولوجيا الدين الحالية تهتم بالمسألة الدينية كظاهرة اجتماعية ممارساتية لا غير وتحاول التركيز على الفهم والتعليل لعلاقة الإنسان ومعتقداته وممارساته المرتبطة بها المؤسسات المختلفة أي دراسة العلاقة بين الدين و مختلف الجوانب الأخرى للمجتمع داخل الحقل السوسيولوجي والثقافي مثل الاقتصاد والسياسة والطب والسحر وحتى البيئة وغيرها ...

الخاتمة:

توصلنا من خلال هذه الورقة البحثية الى الوصول الى جملة من النتاج يمكن اجمالها في ما يلي:

-إن الدين ما هو الا نسق أيديولوجي وروحي يعبر عن طريقة وأسلوب خاص بأفراد وجماعات وهو أحد المقوّمات الأساسية للمجتمع.

- الأنثروبولوجية الدينية تكشف عن جملة من الأنساق المكوّنة لفكرة الدّين وطرق الإفصاح عن كل ما هو روحي وتأملي.

-تربط الانثروبولوجية الدينية بين مسألة الشعيرة الدينية والممارسات الطقوسية وما يصاحبها من كلمات وعبارات محاكية كون ان الشعائر الدينية مرتبطة بفكرة المعتقد الديني –إن الشعار الدينية مرتبطة بالتغيرات الاجتماعية فهي تتماشى وفق هذه المرونة التي يتسم بها كل مجتمع فقد تكون قوية وقد تكون هشة بحسب ممارسة الافراد لها.

–ان التجربة الدينية من منظور أنثروبولوجيا الدين ماهي في حقيقتها الا تأسيس لأيديولوجيا القيم التي يجد الفرد نفسه خاضعا لها لأنه يميل الى الهدوء النفسي وهذا بحكم الغريزة.

-ان ابتكار الانسان او بالأحرى المجتمع الطقوس ماهو الا دليل على انه لجأ الى هذا الأسلوب للبحث عن الماورائي أو (المتافيزيقي) اللامرئي.

-إن انثروبولوجيا الديني شملت بالفعل كل الممارسات الشعبية دينية فلسفية وكل ما يتعلّق بالنشاط الديني الممارس داخل الأطر الاجتماعية لأن الدين وما يتصل به من طقوس وممارسات تعبّدية شكّل على مرّ التاريخ محرّكا فعالا للبنى الاجتماعية في حقل السوسيولوجيات والفلسفات الاجتماعية.

- لا تقتصر انثروبولوجيا الدين على وصف الأمور الدينية التنظير لها وتفنيدها وتصنيفها، بل تتناول الدين وفعل التدين على انه جزء من الثقافة، و تبحث عن تفسير أوجه الشبه والاختلاف بين المظاهر الدينية والممارسات التعبدية من خلال الطقوس المختلفة في مختلف المجتمعات.

-تتناول انثروبولوجيا الدين محتويات المعتقدات والممارسات الدينية وكذا القضايا ما بين الأديان.

وأخيرا تبقى الانثروبولوجيا الدينية مبحثا ينصب على دراسة مختلف التغيرات التي تطرأ على المجتمعات وتكشف عن توجهاتها الدينية وتسعى الى تقديم كل هذه الظواهر الدينية بصورة موضوعية على أساس ان كل هذا يدخل في حقل الدراسات الاجتماعية بالدرجة الأولى ولاتدرس الدين وما يتجلى عنه من ممارسات على انه مسألة اعتقادية لها مصداقيتها أم لا بل تدرس الطاهرة الدينية من حيث صداها وآثارها على الافراد المجتمع وهنا يكمن الاختلاف بينها وبين سوسيولوجية الدين التي تدرس الظاهرة الدينية وتفسرها بشكل نقدي.

قائمة المصادر والمراجع:

عبد الجواد ياسين، الدين والتديّن التريع والنص والاجتماع، المركز الثقافي العربي، ط2، 2014،

محمد الحبيب منّادي، التفسير بالمدنس للنص المقدس دراسة في ضوء الانثروبولوجية الدينية مقال منشور في مجلة انثروبولوجيا الأديان، جامعة تلمسان ،المجلد16 العدد2، 2020

مصطفى تليوين، مدخل عام في الانثروبولوجيا، دار الفارابي ،بيروت ، لبنان، ط1، 2011

منصف المحواشي الطقوس وجبروت الرموز، قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول، مجلة انسانيات مجلة جزارية في الانثروبولوجية العدد 49 2010صادرة عن مركز البحث crasc وهران

Russ Jacquline ;dictionnaire de philosophie ;Bordas ;Paris ;2004 ;

Jean Maisonneuvre :Les Rituels ;1edition ;universitaires dr France ;Paris ;France1988.

. Fromm, Erik, Psychanalyse et religion, Epi, T, F., Paris, 1968,

https://hekmah.org/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D